المظـــاهرة

كذلك جرت سنة العرب فى الجاهلية على المظاهرة .

والمظاهرة أقسى وأعنف أنواع الطلاق .

والطلاق أبغض الحلال إلى الله .

فإذا غضب الرجل على الزوجة طلقها ، فإذا اشتد غضبه عليها ، وعنف فى غضبه ، حتى ما يعود إليها ، ظاهر منها ، فقال لها : أنت علىَّ كظهر أمى .

* * *

طلاقٌ لا رجعة فيه ، وفراق لاوصال بعده ، وأسرة تتفكك ، وأطفال تُشَرَّد ، فإذا بقوا مع الأب ضيعتهم زوجة أبيهم ، وإن راحوا مَع الأمِّ جوَّعهم زوج أمهم .

* * *

ومن أجل هذا ، حرَّم الإسلام المظاهرة ، لجنايتها على الأسرة والزوجة والأبناء .

وما جنى الأبناءُ ذنبًا ، إلا ما جناه حمق الآباء .

وماجنت الزوجة ذنبًا ، إلا ماجناه سَفَه الأزواج ، وسوءُ تصرفهم فى حق التطليق ، فيحرمون على أنفسهم ، كتحريم أمهاتهم عليهم .

وفرقٌ كبير بين الزوجة والأم ، فالرجل من أمه ، وأمه له ، لا فصال ولا انتقال . ولكن الزوجة غريبة لا يربطها له إلا عقدة الزواج ، فإذا ظاهرها انفصمت العقدة ، وانحل الرباط ، وتقطعت حبال المودة ، وغادرت البيت ، وامتد لهيب الغضب إلى الأبناء فحَرَّقتهم نار الهجران .

* * *

ومن أجل هذا نزلت أربع آيات من القرآن ، تحرم المظاهرة من الزوجات ، وتندد بالمظاهر ، وتوبخه وتقرعه ، على فعله الخطير ، المفكك للجماعة ، المشرد للأطفال ، الموجب للجفوة والعداوة بين الأصهار .

* * *

ووصف القرآن علاجًا لهذا الداءِ ، ودواءً يشفى منه ، ويؤدب الحمقى من الأزواج ،

والعلاج قاس ، والدواءُ مر ، ولكنه يؤدب الجاهلين البطرين بنعمة الزوجية ، ويعود بالخير على آخرين .

والدَّواءُ الذى لابد أن يتجرعه مَنْ يظاهر من زوجته حتى يخف ويعود صحيحًا معافى فى نفسه ودينه وأسرته وينعم ثانية فى رحاب زوجته ، ولَمِّ شمل أولاده ، أن يعتق رقبة عبد من عبيده ، فيكسب العبد حريته ويكسب المجتمع الإسلامى نفسًا تحررت ، وتُضم إلى مجموعة الأحرار ، وتنقصُ عدد العبيد المؤمنين .

وقد لا يتيسر هذا الدواءُ الآن ، دواءُ عتق الرقبة ، فقد مضى زمن الرق ، ولم يعد فى الإسلام عبودية .

وإن لم يستطع أن يشترى عبدًا ويعتقه ، كان عليه أن يتجرع دواءَ الصوم ، يصوم شهرين متواصلين ، فيكسب كفارة عن جريمة ، وتطهيرًا لنفس جريئة على الشر ، ويكسب المجتمع رجلا تهذب بالصوم ، وتأدب بالحرمان ، وذاق الفسوق والعصيان .

فإن لم يستطع أن يصوم ، كان عليه أن يطعم ستين مسكينًا من المسلمين ، فيكسب المساكين طعامًا من أخ مسلم مخطئ ، فيطعمون ، ويتعظُون ، فلا يقعون فيما وقع فيه من خطأ .

* * *

أسمعت كل هذا يا أوس بن الصامت ، يا من ظاهرت من زوجتك خولة بنت ثعلبة . فأزعجتها ، وهدّدْت عليها بيتها ، فذهبت إلى رسول الله تبكى وتشكو ، وتلتمس عنده مخرجًا ، ويقول النبى لها : ياخولة . لقد حُرِّمتِ عليه ، فلا يجمعكما سقف واحد .

وتقول خولة للنبى : يارسول الله ، كيف هذا ؟ زوجى لم يذكر كلمة الطلاق ؟

فيقول لها النبى : ياخولة ، المظاهرة شر أنواع الطلاق .

فتقول خولة : وأولادى وبيتى يارسول الله ؟

فيقول النبى لها : ياخولة ، لابدَّ من الفراق .

وتجادله ويجادلها ، وتتلمس حلا للعقدة ، وتفريجًا للأزمة ، وليس عند النبى من حلٍّ مشروع ، ولا قرآن منزل .

* * *

وخولة مكروبة محزونة ، زائغة البصر ، مرجوفة من الخراب والتشتيت .

* * *

فرفعت رأسها إلى السماء ، واتجهت إلى الله ، تسأله وتدعوه .

ويقول الله ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر الآية ٦٠)

واستجاب الله لها ، فنزل الوحى ، وأسمع النبى أربع آيات مفصلات :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

(المجادلة الآية ١)

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۗ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

(المجادلة الآية ٢)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(المجادلة الآية ٣)

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ ﴾

(المجادلة الآية ٤)

* * *